

هنالك حالات متدرجة من الغيبوبة والنعاس ، التي إن أدركت فيها الحواس شيئاً مما حولها ، فأخلاق مهوشة لا تفتنى شيئاً من حركة الجسم ونشاط الأعضاء ؛ وسيأخذك العجب حين أزعم لك أن قلة ضئيلة من الناس هي اليقظة الواعية ، وأما الكثرة الغالبة منهم ففي غيبوبة ونعاس ، في وجوههم أعين مفتوحة ، لكنها تنظر ولا ترى .

والأمم في هذا كله كالأفراد سواء بسواء ، فما الأمة إلا مجموعة أفرادها ، وقد تشيع في هؤلاء الأفراد يقظة للعالم من حولهم ، فتكون أمتهم بذلك أمة حية ، أو قد تشيع فيهم حالة الغيبوبة فتكون أمتهم بذلك نعسانة غافلة ، وفي إيقاظ الأمة النعسانة معنى النهوض ؛ فإذا قلنا إن أوروبا قد « نهضت » في القرن السابع عشر ، حين تنبه فيها نفر من أبنائها إلى عالم الأرض والسماء ، كان معنى ذلك اعترافاً منا بغيبوبة سابقة ، شاعت في أبنائها ، فأغمضت أعينهم وأصمّت آذانهم عن مشاهد الدنيا وأصواتها ؛ وإذا قلنا إن مصر قد بدأت « نهضتها » في أول القرن التاسع عشر ، كان المراد بذلك أنها ظلت غافلة عن أحداث العالم الخارجي حتى ذلك الحين ، ثم جاءها من أيقظها ففتح عينيها ؛ وإني لأذكر أستاذنا الجليل « . . . » وهو يحاضرنا أيام الطلب في الحملة الفرنسية على مصر ، بعلمه الغزير وفكاهته البارعة ،